

مزوءة الوضع البشري:

محاور درس الغير:

المحور الأول: وجود الغير.

المحور الثاني: معرفة الغير.

المحور الثالث: العلاقة مع الغير.

مفهوم الغير

الطرح الإشكالي:

إن مفهوم الغير من المفاهيم الفلسفية الحديثة التي لم تتحل مركز الصدارة إلا مع فلسفة هيغل، بعدما كان كل اهتمام الفكر الفلسفي يتمحور حول الذات، وبما أن الذات قد تنتج أفكارا خاطئة حول موضوعات خارجية نتيجة خداع الحواس، فإن هذا الأمر قد يدفع إلى الشك في الغير، ووضع وجوده بين قوسين، مما يترتب عن ذلك أن إنتاج معرفة حول الغير تتميز بالاختلاف، بل احتمال عدم إنتاجها أصلا، إضافة إلى تعدد وتنوع العلاقة التي تربطنا به، وهذا ما يمكن التعبير عنه بواسطة الأسئلة الآتية:

هل الغير موجود أم لا؟

هل معرفة الغير ممكنة؟ وإن كانت كذلك كيف يمكن أن نبني هذه المعرفة؟

ما طبيعة العلاقة التي تربط الذات بالغير؟

المحور الأول: وجود الغير:

أ - وجود الغير والصراع:

يكون وعي الذات وجودا بسيطا للذاته - حسب فريديريك هيغل - تقوم ماهيته في كونه أنا، غير أن الآخر هو أيضا وعي لذاته، باعتباره لا / أنا، هكذا تبشق ذات أمام ذات، يكون كل واحد بالنسبة للآخر عبارة عن موضوع، كل منهما متيقن من وجود ذاته، وليس متيقنا من وجود الآخر، لكن ما زال لم يقدم بعد أحدهما نفسه للآخر، تتمثل عملية تقديم الذات لنفسها أمام الآخر في إظهار أنها ليست متشببة بالحياة، وهي نفس العملية التي يقوم بها الآخر حينما يسعى إلى موت الآخر، أي أنا، إن وجود الغير بالنسبة لأننا - في تصور هيغل - يتم بواسطة الصراع من أجل الحياة والموت، لأن على كل منهما أن يسمو بيقين وجوده إلى مستوى الحقيقة بالنسبة لذاته، وبالنسبة للآخر.

ب - وجود الغير وجود الذات:

إن الموجود هنا باعتباره وجودا فرديا خاصا لا يكون مطابقا للذاته - في نظر مارتن هайдغر - عندما يوجد على غط الوجود "مع / الغير"، فهذا الوجود المشترك يذيب كلها الموجود هنا، الذي هو وجودي الخاص في غط وجود الغير، بحيث يجعل الآخرين يختفون ويفقدون ما يميزهم وما ينفردون به، مما يسمح بسيطرة الضمير المبني للمجهول، هذا المجهول ليس شخصا متعينا، إنه لا أحد، كما أن بإمكان أي كان أن يمثله، إن وجود الغير - في تصور هайдغر - يهدد وجود الذات من خلال إذابتها وسط الآخرين، ووسط المجهول.

المحور الثاني: معرفة الغير:

أ - الغير والحميمية:

إن حميمتي، أي حيادي الخاصة هي عائق أمام كل تواصل مع الغير، يقول غاستون بيرجي: "حيث تجعلني سجين ذاتي، فالتجربة الذاتية وحدها هي الوجود الحقيقي بالنسبة لي، وهي تجربة غير قابلة للنقل إلى الآخر، فأنا أعيش وحيدا وأشعر بالعزلة، كما أن عالم الغير منغلق أمامي بقدر انغلاق عالمي أمامه، فعندما يتأنم الغير يمكنني مساعدته، ومواساته ومحاولة تخفيف الألم الذي يعانيه، غير أن ألمه يبقى رغم

ذلك ألمًا خارجياً بالنسبة لذاتي، فتجربة الألم تظل تجربته الشخصية وليس تجربتي"، وهكذا تتعذر معرفة الغير - في نظر بيرجي - مadam الإنسان كائناً سجينًا في آلامه، ومنعزلاً في لذاته، ووحيداً في موطنه، محكوماً عليه بأن لا يشعُر أبداً رغبته في التواصل.

ب - الغير بنية:

إن الغير ليس فرداً مشخصاً بعينه - حسب جيل دولوز - بل هو بنية أو نظام العلاقات والتفاعلات بين الذوات والأشخاص، يتجلّى هذا النظام في المجال الإدراكي الحسي، مثلاً فأننا حين أدرك الأشياء الخفية في لا أدركها كلها ومن جميع جهازها وجوانبها وباستمرار، وهذا يفترض أن يكون ثمة آخرون يدركون مالاً أدركه من الأشياء، وفي الوقت الذي لا أدركه، وإنما بدت الأشياء وكأنها تتعذر حين لا أدركها وتعود إلى الوجود حين أدركها مجدداً، وإذا كان هذا مستحيلاً، فإن الغير إذن يشاركني إدراك الأشياء، ويكمّل إدراكي لها، وهكذا يجرد دولوز الغير من معناه الفردي المشخص، ويضمّنه معنى بنوياً.

المحور الثالث: العلاقة مع الغير:

أ - علاقـة الصداقة:

إن الصداقة باعتبارها مثلاً هي اتحاد شخصين يتبدلان نفس مشاعر الحب والاحترام، في نظر إيمانويل كانط وغاية هذا المثال هو تحقيق الخير للصديقين الذين جمعت بينهما إرادة طيبة، يتولد عن مشاعر الحب تجاذب بين الصديقين، في حين يتولد عن مشاعر الاحترام تباعد بينهما، إذا تناولنا الصداقة من جانبها الأخلاقي فواجب الصديق تبنيه صديقه إلى أخطائه متى ارتكابها، لأن الأول يقوم بهذا التبني لأجل خير الثاني، وهذا واجب حب الأول للثان، بينما تشكل أخطاء الثاني تجاه الصديق الأول إحالاً مبدأ الاحترام بينهما، لا يجب إذن أن تقوم الصداقة - حسب كانط - على منافع مباشرة ومتبادلة، بل يجب أن تقوم على أساس أخلاقي خالص.

ب - علاقـة الغرابة:

لقد رفضت جوليا كريستيفا المعنى اليوناني القديم لمفهوم الغريب المرتبط بالآخر، الذي نكن له مشاعر الحقد باعتباره ذلك الدخيل المسؤول عن شرور المدينة، أو ذلك العدو الذي يتعين القضاء عليه لإعادة السلم إلى المجتمع، إن الغريب في نظرها يسكننا على نحو غريب، ونحن إذ نتعرّف على الغريب فيما نستبعد أن نبغضه في ذاته، إن الغريب يبدأ عندما ينشأ لدى - الوعي باختلاف، ويتّهي عندما نتعرّف على أنفسنا جميعاً وندرك أننا غرباء متّمردون على الروابط والجماعات، كما انتقدت كريستيفا الدلالة الحقيقة المعاصرة للغريب التي تطلق على من لا يتمتع بمواطنة البلد الذي يقطنه، لأنها تسكت عن وضعية المختلف التي يتخذها الإنسان داخل جماعة بشرية تتغلّق على نفسها مقصية المخالفين لها.

استنتاجات عامة:

هناك فرق بين الآخر والغير، فإذا كان الآخر هو ذلك الكائن المادي الذي يتميّز بوجود واقعي إلى جانب أو في مقابل الذات، فإن الغير مفهوم فلسفـي نظري يتضمن الخصائص المجردة للآخر.

إن مفهوم الغير مفهوم يتضمن معرفة متناقضة حول الآخر، فتارة يحدده كأنا آخر باعتباره متطابقاً مع الذات، وطوراً يحدده باعتباره لا - أنا مركزاً على مظاهر التناقض مع الذات.

إن العلاقة مع الغير في الحقيقة هي علاقة بصيغة الجمع، تتميز بالتعدد والتتنوع. تبدأ بعلاقة الحب والاحترام والصداقة، مروراً بعلاقة الغرابة والقرابة ...، وتنتهي بعلاقة الصراع والتنافس والعداوة.